اللقاء المفتوح السابع



لفضيلة الشيخ

سليمان بن ناصر العلوان

اللقاء المفتوح السابع

لفضيلة الشيخ

سليمان بن ناصر العلوان

حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال: مر في الحديث أنه (**كان النبي ﷺ إذا مرّ بآية فيه تسبيح سبّح وإذا مرّ بآية فيها التعوذ تعوّذ**) فهل يدخل في ذلك إذا مرّ بآية فيها ذِكرٌ للجنة وآية فيه ذِكرٌ للنار؟ وهل هنالك فرق بين الفريضة والنافلة، والمأموم والمنفرد؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

فهذا السؤال متعلق بحديث: (**كان النبي ﷺ إذا مرّ بآية فيه تسبيح سبّح وإذا مرّ بآية فيها التعوذ تعوّذ**)، وفي هذا عدة أحكام وعدة مسائل؛ فمن ذلك ما يتعلق بالسؤال: هل يدخل في ذلك إذا مرّ بآية فيها ذِكرٌ للجنة وآية فيها ذِكرٌ للنار؟

والجواب: أن هذا عام؛ لأنَّ التعوذ يشمل النار والسؤال يشمل الجنة، وهذا نوع من أنواع التدبر، والعبد مأمور بتدبر القرآن؛ وهو الذي يبعث على الخشية؛ وهو الذي يقوي الإيمان، وهو الذي يُثبّت القرآن في القلب، وقد قال الله جل وعلا: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [مُحَمَّد:٢٤]؛ قال ابن القيم في النونية:

فتدبر القرآن إن رمت الهُدى   فالعلم تحت تدبر القرآن

وتدبر القرآن في الجملة واجب؛ لأنه لا يتم فهم المقصود من القرآن إلا بالتدبر، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وقد كان النبي ﷺ والصحابة من بعده يتدبرون القرآن ويتفهمون معانيه؛ فكانوا في هذا أئمة الدنيا ومصابيح الدجى، وكان الواحد منهم يقف عند الآية يرددها أيامًا؛ لأن التدبر يبعث على هذا.

وإذا أردت أن تفهم الفرق بين المتدبر وغير المتدبر: بعض الناس يقرأ القرآن ولا يسأل عن معنى الآية ولا يُشكل عليه وهو يقرأ إلا بعد عشرين سنة أو ثلاثين سنة! ربما أنه منذ صغره إلى الآن ما سأل عن آية ولا استشكل آية! لأنه ما يتدبر.

ثم فيما بعد يقول: أشكلت عليّ هذه الآية. وهي مشكلة من الأصل عنده! لكنه الآن لما تدبّر بالآية وتفهّم الآية؛ أراد أن يعرف المعنى.

ولذلك بالتدبر يحصل ضبط معاني القرآن، بحيث لا تمر على معنى إلا وتفهَّمته وسألت عنه وتعقّلته، وفي الوقت ذاته يرتبط هذا بالعمل، بالخشية، بالتقوى، بالإنابة إلى الله جل وعلا،

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢]، والقلب لا يمكن أن يوجل وهو لا يدري ما هو المقصود من المعنى ولا يفهم شيئًا منه! إنما إذا فهم المعنى وفهم المقصود حصلت له خشية وإنابة وتذكر.

فمِن ثمّ استحب العلماء ترتيل القرآن كما قال الله جل وعلا: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤]، والوقوف عند كل آية؛ فإذا مرّ بآية تسبيح أو بآية فيها ذِكر للجنة سبّح في الذِكر وسأل الله الجنة.

وفي حديث أبي إسحاق السبيعي عن بُريد بن أبي مريم عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من سأل الله الجنة ثلاثًا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة)**، وإذا مرّ بأية تعوذ أو بآية فيها ذِكرٌ للنار تعوّذ.

ولكن إذا كان يصلي خلف الإمام؛ والإمام قد أدرج في القراءة ولم يقف؛ فإنه يُتابع الإمام ولا يقف والإمامُ يقرأ؛ لأن المأموم مأمور بالإنصات وقد قال الله جل وعلا: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤]؛ فقوله جل وعلا: ﴿فاستمعوا له﴾ هذا أمر والأمر يفيد الوجوب، وفرق بين السماع والاستماع:

فالاستماع: هو الذي يقرأ من أجلك وأنت تقصد الإنصات له؛ فهذا يجب عليك.

وأما لو قارئ قرأ وأنت ما قصدت الاستماع؛ لا يجب عليك ذلك، إنما تكون سامعًا لا مستمعًا ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

وإذا وقف الإمام؛ فإن المأموم يقف، كما لو قرأ الإمام: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]؛ فوقف الإمام فصّلى؛ فإنك تصلي، وإذا لم يقف ودرج كأن يكون حنبليًا، فالحنابلة ما يرون ذلك في الفريضة، والشافعية يرون هذا، وقول الشافعية قولٌ قوي؛ للعموم.

لكن إذا ما وقف الإمام كيف تقف وهو ما وقف؟

يحصل في ذلك إغفال للإنصات وترك للمتابعة.

وقد اختلف الفقهاء -رحمهم الله تعالى- في الوقوف عند آيات التسبيح والتعوذ عند ما يسوّغ ذلك، هل هذا في النفل خاص؟ أم أنه عامٌ في النفل والفرض؟

على قولين:

القول الأول: أن هذا في النفل، وهذا المشهور عند الحنابلة.

والقول الثاني: أن هذا عامٌ في الفريضة والنافلة، وهذا قول الشافعية، ولعل هذا أرجح.



السؤال: كلمة عن محبة الله.

الجواب: محبة الله جل وعلا واجبة ولا يختلف في ذلك علماء المسلمين، وهذا قد لا ينازع فيه الكثير، وإنما الناس يستشكلون كيف يحب الله الإنسان؟ وما هي الأشياء والوسائل التي يمكن للعبد أن يعملها ليكون محبًا لله؟ في الوقت ذاته ليعلَم أن الله جل وعلا قد أحبه كما قال بعض السلف: (**ليس الشأن أن تُحِب**) لأن هذا واجب عليك وفرض عليك، (**وإنما الشأن أن تُحَب**).

وقد قال الله جل وعلا: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف:٤].

والله جل وعلا موصوفٌ بالمحبة، وهذا لا يختلف فيه أهل السنة والجماعة؛ فنُثبت لله جل وعلا المحبة، وهي من الصفات الاختيارية لله جل وعلا، وأهل السنة يثبتون ذلك إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل؛ لأن الله جل وعلا ﴿ليس كمثله شيء﴾ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ﴿وهو السميع البصير﴾.

وبمجرد أن يتأمل العبد فيما أعطاه الله جل وعلا، وما منحه إياه، وما أسبغ عليه من النعم الظاهرة والباطنة؛ فإن هذا يوجب عليه محبة الله جل وعلا.

والله جل وعلا محبوبٌ لذاته ومحبوبٌ لنعمه الظاهرة والباطنة؛ فمن لم يحبَّ الله فما هو على شيء، ومن لم يحبَّ الله على نعمه فما قدر النعم حق قدرها؛ فمن أعطاك السمع والبصر ألا يستحق محبةً تُخالج القلوب وتستحوذ على مجامع النفوس؟!

فإن العبد الآن لو أعطاك مالًا أو أعطاك بيتًا هدية؛ لأحببته من قلبك وبذلت نفسك دونه، لأنه أعطاك دنيا! والله جل وعلا أعطاك ما هو أعظم من هذا! وأعظم ما يعطي الله جل وعلا العبد هو الإسلام.

وكثيرٌ من الناس لا يعرف نعمة الله عليه في الإسلام، وإنما يعرف نعمة الله عليه في المأكل والمشرب، لكن لا يعرف نعمة الإسلام، ولا يعرف أن الكفار - هؤلاء المليارات الموجودين - إذا ماتوا على كفرهم؛ فإنهم في الجحيم مخلّدون أبد الآبدين.

حينئذٍ يعرف نعمة الله عليه وأنه إذا مات فهو إلى الجنة، ولو كان عنده تقصير وعُذّب في النار لكبائر أو غير ذلك؛ فمآله إلى الجنة، ولا يُخلّد في النار.

الذي أعطاك الله: هذا الإسلام ومنع الآخرين هل لقرابة بينك وبين رب العالمين؟!

كلا! ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ هذا محض فضل الله عليك، وهذا مستوجبٌ لشكره ومحبته وولائه، والولاءِ لمن والى والعداوةِ لمن عادى.

والذي أعطاك الله جل وعلا: السمع والبصر والعقل الذي تميز فيه؛ مستوجبٌ للمحبة، وهذا يبعث على اليقين والتعلق بالله جل وعلا.

وبقدر معرفة العبد لله جل وعلا ومحبته لله بقدر ما يزداد من العمل ويتحمل كل شيء في سبيله، كما قال النبي ﷺ حين أصاب أُصبعه حجر فدمي: (**وهل أنت إلا أصبعٌ دميتِ؟ في سبيل الله ما لقيت**).

فالمحبة تستدعي عند العبد أن يهون عليه كل شيء في ذات الله جل وعلا، وبقدر حب العبد لربه بقدر ما تهون عليه المصائب؛ لأنه يحب الله جل وعلا ويعلم أن الله جل وعلا يُقدِّر له ما ينفعه ويصلحه، ويعلم أن الله على كل شيءٍ قدير.

بخلاف العبد الذي إذا أصابته مصيبة؛ بدأ يشتكي وإن لم يتلفظ بلسانه ففي قلبه من الجزع ما الله به عليم! يقول: لماذا أنا فقير دون الناس؟! وقد لسان حاله يقول: الله ظلمني! لماذا لا أُبتلى دون الآخرين؟! ولسان حاله يقول: أنا ماذا فعلت؟! وماذا صنعت حتى يفعل الله فيّ ذلك؟!

وهذا يؤدي بالعبد إلى الانحراف، وقد إلى الزندقة، كما كان أبو العلاء المعري، كان كثير الاعتراض على حكمة الله وعلى قدره؛ وقد آتاه الله من العلم والذكاء ما الله به عليم، فكان يعتقد لجهله بربه أنه مادام ذكيًا ينبغي أن يكون غنيًا! ومادام الغبي غبيًا ينبغي أن يكون فقيرًا! فهو يعتقد أن الذكي ينبغي أن يكون ثريًا! والغبي ينبغي أن يكون فقيرًا! فكان يعترض على الله بذلك؛ لأنه كان فقيرًا ويرى الأغبياء أثرياء؛ فكان يعترض يقول: أغبياء وأثرياء! وأنا ذكي

وفقير! وهذا كثير في أشعاره؛ وهو القائل:

إذا كـــان لا يحظـــى برزقـــك عاقـــلٌ وتـــرزق مجنـــونًا وتـــرزق أحمـــق

فــلا ذنــب يا رب السـماء علـى امـرئٍ رأى منــك مــا لا يشــتهي فتزنــدق

ويصنع مثل هذا كثيرًا؛ حين يرى اختلاف الناس، واختلاف الملل؛ اليهود يدعون أنهم على الحق، والنصارى يدّعون أنهم على الحق، والمسلمون يدّعون أنهم على الحق يقول: إذاً ما فيه دين هدى! كل واحد يّدعي أنه على الحق!

فهكذا يعترض على حكمة الله وعلى شرعه!

والعبد إذا أحب الله وعرف جريان القدر وعرف معنى اسمه الحكيم وعرف الله بأسمائه وصفاته، فمثل هذه الأشياء تستدعي الزيادة من محبته والتعلق به جل وعلا؛ فالذي أعطاك السمع وجعلك تميز وفضَّلك على كثيرٍ ممن خلق تفضيلًا؛ تحمده جل وعلا.

والإنسان حين يصلي الظهر؛ يحمد الله، فيه ناس ما يصلون الظهر وهم يدّعون الإسلام، ينامون! وفيه ناس ما يصلون العصر.

وأنت لا تعمل المعاصي: فلا تحلق لحيتك ولا تُسبل إزارك ولا تستمع لآلات الملاهي ولا تغتاب الناس ولا تسعى في النميمة.

فهذه نعم تشكرها، غيرك عاكف على الفجور والطغيان، فمتى ما شكرت الله جل وعلا وعرفت أن الله الذي أعطاك بلا..، ما هي الصلة بينك وبين الله؟

حين تعرف أن الله أعطاك هذا فضلاً منه ومِنّة؛ تزيد محبتك لله.

ولذلك لابد من التعرف على اسم الله المنّان؛ فإن الله جل وعلا يعطي العباد بلا مَنٍّ منه بل تفضلًا منه وشكورًا، ويعطي العباد بلا مقابل.

أما المخلوق يعطي بمقابل؛ إن رأى منك نفورًا منه ما أعطاك شيئًا، أما الله جل وعلا فيعطيك لمصلحتك ويمنعك لمصلحتك، ومن يفعل فيك هذا؟!

والدتك أحب الناس إليك بعض الأحيان تتسبب في دخولك النار! تأتي مرهقًا في ساعة متأخرة من الليل ثم إذا أُوقظت لتصلي الفجر، تقول: دعه دعه.

لماذا؟! رحمة منها أنك الآن نمت؛ فتجعلك تنام ولا تصلي الفجر، وإذا جاء الضحى أيقظتك تقول: كان تعبانًا. محبةً فيك؛ فهي من محبتها تجرك إلى النار، والله جل وعلا يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ ﴿أعدت للكافرين﴾ [التحريم:٦]

فالله يقول: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارًا﴾ يعني: حولوا بينكم وبين أولادكم، حولوا بين الأولاد والمعاصي، حُولوا بين الزوجة وبين الفجور؛ هذه أمانة في أعناقكم، وهذه حقيقة المحبة؛ فإن من يحب مخلوقًا ينصح له، وإذا غشّه فهذا لا يحبه، وإنما يحبه لنفسه.

وكثير من الناس يحب المخلوق لنفسه لا لله؛ لأن الذي يحبك لله ينصح لك، والذي يحبك لنفسه يغشك؛ أهم شيء أنه يستمتع بجلوسه معك، قد تكون رجلًا مرحًا، أو رجلًا ثريًا، أو تُنفق عليه أو غير ذاك، فيحبك لذات هذا العمل، ولا يحبك لله جل وعلا.

والذي يحب لله يحبك لأنك مطيع لله، فإذا عصيت الله ما أحبك.

وأما الأول يحبك أطعت أم عصيت؛ لأن هذا لشيءٍ في نفسه.

فكل هذه الأشياء تبعث على محبة الله جل وعلا ومحبة رسوله ﷺ.

وكذلك محبة الرسول: حين يعلم الإنسان أن الرسول ﷺ كما قال الله جل وعلا عنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، حين يعلم حرص النبي ﷺ على أمته وحين يتعجل كل نبي دعوته؛ إلا النبي مُحَمَّد ﷺ اختبأ دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة؛ فهي نائلة إن شاء الله لمن مات لا يُشرك بالله شيئًا؛ يعلم حب النبي ﷺ له ونصحه له؛ وهذا يستدعي محبته والولاء كما قال حسّان:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض مُحَمَّد منكم وِقاء

والنبي ﷺ يحبك ليخرجك من ظلمات الجهل إلى النور؛ لأنك مطيعٌ لله جل وعلا؛ فبحُب الله أحبك وبمعصية الله أبغضك،

ولا تعرف قدر المحِب إلا حين يكون ناصحًا لك، معينًا لك على الطاعة؛ وهذا حقيقةً هو الذي ينبغي أن يُحب ويُستمسك بغرزه، لا الغشَّاش الذي يُوردك اللظى، ولذلك قال الله جل وعلا: ﴿الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]، الأخلاء في الدنيا يتعادون ويتلاعنون يوم القيامة، يلعن بعضهم بعضًا ويتبرأ بعضهم من بعض إلا من كانت خُلَّته لله جل وعلا كما قال الله جل وعلا: ﴿إلا المتقين﴾ فأحبوا الله من كل قلوبكم واجتهدوا في التدبر في مخلوقات الله جل وعلا، وفي نعمه، وما أسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة؛ فهذا

يزيد في محبتكم لله جل وعلا ويُعرِّفكم بالله جل وعلا.

وأعظم النِعم نعمة الإسلام كما قال بشر الحافي -رحمه الله-: بئس العبد الذي لا يعرف نعمة الله عليه؛ إلا في مأكله ومشربه.

والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]؛ فهذه حقيقة المحبة، والله أعلم.



السؤال: يا شيخ جزاك الله خيرا، أنا عندي مسألة بنك التسليف: مقدم على قرض ترميم، علمًا بأني سأستخدمه بغير الترميم وأنا استأذنت من مدير البنك وسألت مشايخ وصار بينهم اختلاف؟

الشيخ: وهل أذن لك مدير البنك؟

السائل: نعم.

الشيخ: حق التسليف؟

السائل: نعم.

الشيخ: خلاص ما فيه حرج، مادام أذن لك.

السائل: لكن الأوراق كلها...

الشيخ: ما عليك، هو المسؤول عنك، وعنده صلاحيات في هذا، ولكن تارة المدير والمسئول عن الشيء لا يصرّح لكل الناس؛ حتى لا يكون دارجًا عند كل أحد، ولكن مادام أعطاك الإذن في هذا؛ ما فيه حرج.

السائل: ما فيها شيء لو أدخل فيها بتجارة أو شيء؟

الشيخ: ما فيه شيء مادام قد أذن لك، ما عندك أي حرج، هو المسؤول عنك وهو المسؤول عنها أمام الله جل وعلا. إلا أن تعتقد أنه غشاش؟

السائل: لا؛ إن شاء الله.

الشيخ: لا تعرف عنه هذا، أو تجهله، فما دام أنك تعلم أنه خلاص أذن لك وأنت

أخذت المال للاستفادة، فهذا من الاستفادة؛ تستفيد منه.

❁ ❁ ❁

السؤال: أحسن الله إليك يا شيخ، حديث جابر عن النبي ﷺ (دعا في مسجد الفتح ثلاثًا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء) هل هو من السنن المتروكة؟

الجواب: ليس من السنن، هذا الحديث ضعيف، رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده، ومداره على كثير بن زيد.

وكثير بن زيد صدوق سيء الحفظ، وقد تفرَّد بالخبر فلا يُحتج به؛ لأنه عبادة مؤقّتة في يوم الأربعاء وبين الظهر والعصر والدعاء مستجاب ولا يُعرف إلا من هذا الطريق؛ فلا يُحتج بهذا الخبر.

❁ ❁ ❁

السؤال: أحسن الله إليك يا شيخ، اسم الإله، الإله والمحسن هل هي من أسماء الله، وإن قيل أنها ليست من أسماء الله، هل يؤمر بتغييره؟

الجواب: أما المحسن فورد فيه حديث رواه عبد الرزاق وغيره؛ وهو معلول.

ورد أن المحسن اسم من أسماء الله، والحديث فيه معلول رواه عبد الرزاق وغيره.

ولكن الله جل وعلا محسنٌ يُحب الإحسان، وقد كتب الله جل وعلا الإحسان على كل شيء، حيثُ أن الله جل وعلا يحب المحسنين؛ فهو أولى بهذا الخلق الجميل والصفات الجميلة في الإنسان، ولكن الحديث الوارد: (إن الله مُحسِن) هذا معلول رواه عبد الرزاق وغيره.

وأما اسم الله الإله فالله جل وعلا يقول: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة:١٦٣]، وإذا عُرِّف الإله بالألف واللام؛ لا ينصرف إلا إلى الله، وقد حكى بعض العلماء الإجماع على أن الإله معرَّف بالألف واللام لا يُطلق إلا على الله، وجاء عند ابن أبي إسحاق في السيرة بسندٍ فيه لين: أن عبد الرحمن بن عوف حين كان مُفَوَّضًا للتفاوض مع كفار قريش قالوا له: لا نناديك بعبد الرحمن فاجعل بيننا وبينك اسمًا نناديك به، فاتفق معهم على أن يسموه عبد الإله. وهذا الأثر كما قلنا: فيه ضعف، ولكن يقتضي شهرته فيما مضى، لأنه على أقل تقدير يكون عن

ابن إسحاق وأن هذا كان معروفًا فيما مضى.

والظاهر من الأدلة وكلام العلماء وسياقات الألفاظ: أن (الإله) اسمٌ من أسماء الله جل وعلا، ويُعبَّد به يُقال: عبد الإله، ويدل على ذلك ما تقدّم ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة:١٦٣].



السؤال: عفا الله عنك يا شيخ، أفضل كتب التفسير التي تعين على تدبر القرآن وتفهمه؟

الجواب: أولًا: ننصح طالب العلم أن يقرأ في التفاسير التي تتحدث عن المفردات كبداية، وهذا من المهم لمن يبتغي فهم التفسير وضبط علوم التفسير؛ لأن المعاني الإجمالية مهمة ولكن لا تعطيك ضبطًا لألفاظ القرآن وفَهمًا للمُراد من كل وجه، وطالب العلم بحاجة إلى فَهم المفردات.

فحين يقرأ قول الله جل وعلا: ﴿تَبَّتْ يَدَا﴾ [المسد:١] يسأل ما معنى ﴿تبت﴾؟ خابت وخسرت، لماذا؟ لأنه حفظ المفرد.

ويأتي شخص ما حفظ المفردات كيف يفهم هذا؟ كقوله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ ما هو الفلق؟ قيل: الصبح، إذًا لماذا؟ لأنه حفظ هذه المفردات.

وهكذا حين تقرأ القرآن، أنت بحاجة إلى فهم المفردات ثم بعد ذلك مرحلة أخرى تكون بفهم المعاني الإجمالية.

والكتب المؤلّفة في المفردات كثيرة، وبعض الكتب المطولات تتحدث عن المفردات ولا يتجاوزون معنى بدون حديث عن المفردات؛ فمن ذلك ما هو مطوّل، ومن ذلك ما هو مختصر.

«تفسير السعدي» مثلًا تفسيرٌ جيد مفيد، ولكن يقل فيه ذِكر المفردات ويغلب عليه المعنى الإجمالي والاستنباط؛ وهو وإن كان جيدًا للمبتدئين فهو مفيد لهم أيضًا.

وحين تنظر إلى «تفسير ابن كثير» فهو أنفع التفاسير على الإطلاق، ولكن المبتدئ قد لا تكون فائدته من قراءته كبيرة؛ لأن ابن كثير -رحمه الله- يذكر المفردات، ويذكر المعنى الإجمالي، ويذكر الأحاديث، ويذكر الآثار، ويذكر القِصص والحكايات، فلا يهتدي المبتدئ لمثل هذه

المعاني، وقد لا يستفيد كثيرًا.

ويستفيد كثيرًا حين يقرأ مختصره لنسيب الرفاعي، فهذا المختصر جيد ومفيد، والمهم أن الطالب يقرأ كبداية في التفاسير التي تتحدث عن المعاني كـ«زبدة التفسير» فهذا جيد؛ لأنه يتحدث عن المفردات وهذا مهم.

والكتب في المفردات في الحقيقة كثيرة، كـ«التفسير الميسر» فيه حديث عن المفردات وجيد. ثم ينتقل بعد ذلك للكتب المتوسطة.

وفيه بعض المطولات مفيدة ومهمة ولا يستغني عنها طالب العلم، لكن المشكلة فيها أن المؤلفين عندهم المذهب الأشعري؛ فمن له فهم في العقيدة يستفيد منها كثيرًا، لأنهم يركّزون على المفردات على طريقة الأوائل.

لكن حين تأتي مسائل الأسماء والصفات ينحرفون فيها، وهي كتب جيدة ومفيدة، كـ«زاد المسير» لابن الجوزي، فهذا جيد لطالب العلم وفيه فوائد كثيرة؛ لأنه يذكر المعاني المفردة ويذكر من قال بها، يشير إلى القراءات المهمة، ويذكر بعض الأحيان أقوال لا تجدها في التفاسير الأخرى، ولكن يَحذر الإنسان من لَوثته الأشعرية.

وكذلك «تفسير القرطبي»، تفسير جيدٌ مهم وفيه فوائد كثيرة ومسائل متعددة، وهذا التفسير يعتبر من أفضل التفاسير، ولكنه لا يصلح للمبتدئ، لأن المؤلف نحى في التفسير منحى الأشاعرة، فهو مُؤِّول للأسماء والصفات.

تفسير الشوكاني «فتح القدير» تفسير جيد أيضًا ومفيد، وأشبه وأقرب ما يكون هذا التفسير بأنه مختصر للقرطبي، وزاد عليه قليلًا وهو جيدٌ مفيد وعليه أيضًا بعض المآخذ؛ فإنه يؤول أيضًا بعض صفات الله جل وعلا.

وأما أنفع التفاسير على الإطلاق فكما تقدّم ابن كثير وابن جرير، فهذه كتب جيدة ونافعة ومشارب هؤلاء الأئمة مشارب الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين.



السؤال: أحسن الله إليك يا شيخ، ما رأيك يا شيخ في حفظ ديوان الشافعي؟

الجواب: حفظ ديوان الشافعي جيد ومفيد.

الشافعي -رحمه الله- له أبيات جيدة في الزهد، والورع، والحث على التخلق بأخلاق من مضى، والحث على طلب العلم، والحث على الهمة والتغرب لطلب العلم، وفيه بعض الآداب والأخلاق والحِكم، وهو مهم.

فإذا كان الإنسان عنده فراغ وعنده وقت ليحفظ هذا الديوان فهو جيد ومفيد، ويُنصح أيضًا طالب العلم بحفظه ما لم يشغله عن ما هو أهم، فإذا لم يشغله عن ما هو أهم فهو جيد ومفيد؛ بحيث أنه يُحث الشخص على حفظه؛ لأنه هذا مرتبط بالكتاب والسنة، لا يكاد يَذكر أبيات إلا لها أصول من الكتاب ومن السنة في الحث على الأخلاق والهِمم العالية والآداب والحِكم وأشياء جيدة ونافعة ومفيدة.

ولكن إذا كانت تشغله عن ما هو أهم فإنه يؤخِّرها إلى أن يأتي بما هو الأهم ثم يأتي بعد ذلك بما هو مهم.



السؤال: يا شيخ في مسألة أن الزنا دَين، اختلف فيها؛ بعضهم يذكرون أبيات الشافعي مع أنها تخالف ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، ولكن قد وقع هذا لبعضهم؛ في بعض الوقائع حصلت، فما الأصل في هذا يا شيخ؟

الجواب: الأخ يقول: إن بعض العلماء يقول: الزنا دين.

بمعنى بقدر ما تزني بالآخرين سيُزنى بأهلك.

وهذا طبعًا مشهور عن الناس؛ من زنا فيُزنى بأهله؛ وهذا الإطلاق غير صحيح، والكتاب والسنة على خلاف ذلك، وقد قال الله جل وعلا: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، وهذا الكلام هو الذي أوجد في طبقة من التائبين وساوس وشكوكًا وأوهامًا في أهاليهم.

وأحْسَن مَحمل يُحمل عليه هذا الكلام الذي يُقال عنهم: أن الأب قد يتسبب في فجور أهله، هذا ممكن، بمعنى يُهمل البيت ولا يراقبه ولا يعظِهم ولا يُرشدهم ولا يوجههم، ويترك الهواتف عند الأبواب، وفي الغرف، ولا يراقب، ولا يحاسب، وتلبس المرأة ما شاءت، وتخرج

للسوق متى ما شاءت وترجع متى ما شاءت؛ هو الآن تسبب في حصول الضرر عليهم؛ لا لأنه زنا زُني بهم؛ وإنما لأنه مهمل؛ فإهماله بإهمالهم تسبب، وإلا فمن بُلي بمعصية فإنه لا يلزم من ذلك أن يتسبب أو يُبتلى به أهله؛ ماداموا محافظين فإنه ليست القضية قضية (أنه لا بد إذا فعلت سيُفعل بك)، هذا غير صحيح؛ حكمة الله تأبى هذا وسنة الكون الكونية على خلاف هذا.

أما قول بعض الناس: نجد بعض الناس يُعرف بالزنا ثم يزني أهله، لا لأنه زنا زُني بهم؛ لأنه مهمل ومُفرّط ومُضيع لبيته، وبعض الناس أيضا جالس في المسجد ولا يخرج من المسجد منذ ولد؛ وأهله يفجرون، لا لأن هذا حصل بهذا، لأنه مهمل؛ الإهمال سبب لفساد أهل البيت، سبب لإفساد المنزل، وعدم مراقبة الأهل، وعدم التفاهم، وعدم إيجاد محبة بينهم، وتركهم يخرجون متى ما شاءوا ويرجعون متى ما شاءوا؛ هذا من الأضرار؛ وكون الرجل يُمكِّن أهله يركبون مع السائق بلا محرم؛ هذا من الأضرار، وكون الرجل يُمكِّن أهله من مجيئ الصحف والمجلات الخليعة والفاسدة والفاجرة، هذه من الأشياء التي تؤول بالأهل إلى الفساد وإلى الفجور.

أما من بُلي بمعصية وأهله محافظون وقائمون على طاعة الله وعلى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، أو قد يكون بلي بزنا هو، ولكن في الوقت ذاته مراقب لأهله ومحافظ عليهم؛ فإن الله جل وعلا يحفظ أهله ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.



السؤال: يا شيخ عفا الله عنك، في نونية القحطاني رد على الذين يتكلمون على أن الأرض كروية، يقول: أن الأرض مبسوطة؟

الجواب:

والأرض بسيطة عند أولي النهى   بدليل صدق واضح البرهان

يستدل بقول الله جل وعلا: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية ١٧ :٢٠]، فيستدل بهذه الآية على أن الأرض مسطحة وليست بكروية الشكل، وش الإشكال؟

السائل: لكن نحن بعد التقنية؛ ينظرون أن الأرض كروية؟

الشيخ: طبعًا هذا قول القحطاني -رحمه الله- في نونيته ووافقه على ذلك طائفة من العلماء.

أما ابن تيمية -رحمه الله تعالى- فيحكي الاتفاق على أنها كروية الشكل، وذكره عن ابن منادي وهو من أصحاب الإمام أحمد، وحكى أيضًا على ذلك الاتفاق كما هو موجود في الفتاوى وموجود عن ابن المنادي؛ فهذا قول واختيار له، لا لأنه كما تقول: يخالف التقنية الحديثة أو ما اكتشفت التقنية الحديثة أن الأرض كروية. فهذا سابق وهم الأئمة، وابن المنادي موجود قبل أن يولد جد القحطاني وكان يقول: أن الأرض كروية.



السؤال: عفا الله عنك يا شيخ، إرسال الصور من جوال إلى جوال هل يعتبر هذا تصوير؟

الجواب: لا، لا يعتبر تصويرًا، لكن الإنسان ما ينقل الصور، الإنسان لا ينقل الصور بجواله إلى الآخرين؛ إلا الشيء المفيد المرتبط بحدث معين لنفع المسلمين.

أما ما لا فائدة منه؛ فلا ينقله الإنسان ولا يستبقي في جواله صوراً أصلًا، بقدر ما يستطيع من حذف الصور من جواله يحذفها وإن كانت غير ظاهرة لكن لا يبقي شيئًا من الصور في الجوال، فالجوال للفائدة: اتصال، أو معلومات، وغير ذلك، وما الفائدة من الصور؟ إذا كانت الصور نعم مرتبطة بحدث مهم كواقع ما يجري الآن في العالم واقع سوريا أو غير ذلك؛ فهذه الصور تكون غير مقصودة لذاتها؛ إنما مقصودة لغيرها؛ وهذه نعم تبقى للحاجة، أما ما عدى ذلك ما هي الحاجة.

ثم فيه توسع اليوم في الصور؛ صور تذكارية، وكل من زاره شخص تجده يصور، صور تذكارية.

صحيح بعض الناس ما يدري، لكن الذي لا يدري غلطان؛ الذي يدري عن هذا ينبغي أن يُنكر مثل هذه الأشياء.

والتقنية الحديثة الآن تطورت، يصورك الشخص وأنت جالس معه ما تدري عنه، يصورك

وأنت جالس، جالس تأكل، جالس تشرب، وجالس تتكلم، جالس تضحك، وجالس تفكِّر، جالس تذاكر، جالس تقرأ، ذاهب لمكان، وأنت سائر في السيارة، وأنت جالس عنده تجد الرجل يصورك وأنت لا تدري! فالإنسان ما يصوّر أحدًا إلا بإذنه، فهذا من الحقوق الشخصية لو كان التصوير حلالًا؛ فلا تصور أحد وتنشر إلا بإذنه.

والإنسان لا يستبقي في جواله شيئًا من الصور؛ بقدر ما يستطيع أن يحذف؛ يحذف، ويستبقي المقاطع المهمة التي تُصوِّر واقع المسلمين؛ فهذا الأمر غير مقصود لذاته وإنما مقصود لغيره والناس يحتاجون لمثل هذا.

أما ما لا حاجة فيه، يخرج الإنسان للبر يجلس يصور أطفاله، يصور أولاده، يصوره وهو يلعب، يصوره وهو يركض، يصوره وهو يمزح، يصوره وهو يصعد النفود، جالس في البر عنده ضو، جالس يصور ومعه كتاب يصور نفسه أنه يقرأ! هذا لا داعي له؛ وهذا يستجلب الرياء، ومهزلة! والإنسان يُنتقص في مثل هذه الأشياء، يصير عند الناس حقير ومزدرأ، فهو يُرى عقله عقلية طفل، وليس عقلية رجل فاهم، عقلية رجل كبير يفهم.

فالأشياء كما قال الشعبي، حتى لو كان الشيء مباحًا، بعضهم يتقيه لرؤية الناس وتصور الناس كما قال الشعبي: كنا نضحك ولا يسعنا إلا الابتسامة. لأن الناس ما يرون هذا، وكما قال الأحنف بن قيس -رحمه الله تعالى- قيل له: بما سدت؟ قال: لو أن قومي عابوا الماء لما شربته. فهم يراعون هذه الجوانب، والعالم -بالذات- وطالب العلم لا يعيش لنفسه، بل يعيش للمسلمين، ويريد نفعه للمسلمين؛ الأمور التي تُنتقص فيها وتحتقر فيها وتُزدرأ من أجلها تتجنبها؛ بغض النظر عن اعتقادك سواء قلت: حلال، وهل كل شيء حلال يُفعل؟ والشعبي هل يعتقد أن الابتسامة والضحك حرام؟ لكن الناس يعتقدون أن العالم ما يضحك، ويعتقدون أنه إن ضحك سقط قدره عندهم فيقول: كنا نضحك ولا يسعنا إلا الابتسامة. لأن الناس هكذا يعتقدون.

النبي ﷺ يضحك، ما فيه إشكال، النبي ﷺ يبتسم، النبي ﷺ يمازح، فهذا هدي النبي ﷺ.

ولكن الأشياء المختلف في حكمها؛ فالإنسان يتقيها ولا يفعل هذه الأمور إلا للمصلحة والحاجة.



السؤال: ما رأيك يا شيخ في الالتفات في الأذان هل هو متعلق بأن يسمع الصوت؟ أو أن العلة تعبدية؟

الجواب: بالنسبة للالتفات في الحيعلتين؛ فهذه سنة، وقد جاء الالتفات في الصحيح. والناس يسألون اليوم يقولون: مع وجود اللاقط هل يلتفت؟

الجواب: نعم يلتف؛ لأنه لم يثبت أن العلة من كل وجه هي إسماع من على اليمين ومن على الشمال؛ لأنه لو كانت هذه هي العلة لقيل: لماذا لا يلتفت وراءه؟ لماذا يكون على اليمين وعلى الشمال والأمام ولا يلتفت وراءه لو كانت العلة هي الإسماع من كل وجه؟

هذا استنباط طبعًا فقهي وهذا له وجهه، لكن ليست هي العلة من كل وجه.

فبحد ذاته هذا أمر مسنون ومشروع.

ثم أيضًا إن اللاقط يلتقط حتى وأنت تنحرف عن اليمين يلتقط، ولو لم يلتقط بإمكان الإنسان أن يمسكه وينحرف به معه عن اليمين وعن الشمال، لكن بحكم هذا واضح، ولكن أفيد فائدة أخرى مهمة، فائدة فقهية: الناس اليوم يقولون: حي على الصلاة. على اليمين اثنتين، ثم حي على الفلاح. على اليمين اثنتين.

وهذا جائز، ما فيه إشكال، لكن ليس هو السنة حينما نستطيع نقول: هو السنة؛ يعني بإمكان الإنسان يقول: حي على الصلاة. على اليمين، حي على الصلاة. عن الشمال، حي على الفلاح. عن اليمين، حي على الفلاح. عن الشمال؛ بإمكانك تكون: حي على الصلاة مرة يمين ومرة شمال، وهذا أيضًا مشروع، لأن الحديث وَرد عامًا، ما ورد أن حي على الصلاة اثنتين على اليمين، وحي على الفلاح اثنتين عن الشمال. هذا ما ورد؛ وخاصةً أن الفقهاء اللي يعللون لسماع الصوت كان المفروض أن يقولوا: الأولى عن اليمين والثانية عن الشمال؛ هذا أحسن من كون اثنتين عن اليمين واثنتين عن الشمال.

فكونك تضع اثنتين عن اليمين هذا ما فيه إشكال، لكن لا تعتقد أن هذا هو السنة التي فعلها النبي وفعلها الصحابة، ما فيه دليل على هذا أصلًا؛ إنما الذي ورد أنك تنحرف عن

اليمين حي على الصلاة وعن الشمال في حي على الفلاح، على المجموع؛ كيف ورد صفة المجموع؟ ما ورد.

فبالتالي الأحسن تقول مرة: حي على الصلاة على اليمين ثم الثانية حي على الصلاة عن الشمال، حي على الفلاح عن اليمين وحي على الفلاح عن الشمال.

الناس ما يعرفون هذا وقد يستنكرونك بداية؛ لأنهم اعتادوا على الأول لكن ما عليه دليل، وهذا من الذي يقول عنه ابن عقيل: إن العادات والطبائع غلبت على الشرائع. والناس الآن تبصرهم أحسن من الناس من ذي قبل، لكن قلَّ العمل.

فالناس الآن يسألون عن الحديث، ويسألون عن المسائل ويتفهَّمون؛ ومن قبل ما فيه هذا التَّفهم وهم عندهم التعصب للمذاهب؛ الإنسان لو يصلي بعد صلاة العصر تحيَّة المسجد، هذا يُعد مرتكبًا لجريمة ربما، ويُهجر عندنا، ويُحصب بالحصاة، لماذا تصلي؟ المشايخ ما يصلون! أنت دينك جديد.

لكن كانوا يعملون في الحقيقة؛ عندهم عمل، عندهم ورع، عندهم تقوى، عندهم قيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ اليوم عندهم تبصر أحسن من ذي قبل ويسألون عن الأحاديث، ويتفَّهمون، والخطباء يريدون غالبًا الأحاديث الصحيحة، لكن ما هناك عمل؛ يقولون ما لا يفعلون، ولذلك تزايدت المنكرات بكثرة، والمنكرات غير خاصة بالعامة الآن، ربما أن العامة فيهم من المحافظة على الدين وعلى السلوك وعلى الأمور الاجتماعية؛ أفضل بكثير من العلماء؛ حتى أنه تجد بعض العلماء في بيته سائق لامرأته، تركب المرأة والسائق جميعًا بلا محرم وبلا قيود وبلا ضوابط، والنبي ﷺ يقول: (**ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**)، لا تدخل على المغيبات إلا مع ذي محرم؛ وتضرب عليه الباب تريده في موضوع وترفع سماعة الباب؛ الشغالة (الخادمة)؛ بأي حق تضع امرأة بلا محرم في بيتك! تجلس بين أولادك! تبيت عندك بلا محرم! بأي حق هذا؟! وما الدليل على هذا؟ وأين العمل بالعلم؟

أيضا تجد حالة تساهل الناس اليوم بمشايخ وعلماء الإسبال، ما يبالون بذلك، ثم بعضهم يرتكب حشفا وسوء كيل يلتمس لنفسه المعاذير يقول: الحرام إذا كان جره خيلاء! هو لو قال: أستغفر الله وأتوب إليه. لكان أحسن! أما أن يلتمس أيضًا ويبدأ يحرّف النصوص؛ لأجل أن تتمشى مع عمله، هذا غير صحيح، النبي ﷺ: (**ما أسفل الكعبين ففي النار**) هذا في غير

الخيلاء، و(**من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر إليه**) حمل المطلق على المقيد هنا لا يمكن أصلًا! هذا لا يمكن كناحية أصولية أبدًا، لأن العقوبتين إذا اختلفتا؛ لا يمكن عند الأصوليين حمل المطلق على المقيد، لأنه إذا حملنا المطلق على المقيد ألغينا عقوبة؛ بأي دليل تُلغى العقوبة؟! من الذي أذن لك تلغي العقوبة، الشارع يضع عقوبة وأنت تلغيها! هذا غلط كناحية فقهية وكناحية أصولية.

إذا اختلفت العقوبتان لا يجوز حمل المطلق على المقيد وهذه قاعدة أصولية، فعلى هذا حديث أبي هريرة: (**ما أسفل الكعبين ففي النار**) هذا على بابه؛ في كل من أسبل سراويله، أو إزاره، أو ثوبه، أو غير ذلك، وحديث ابن عمر في الصحيحين: (**من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه**)، هذا فيمن جرّ ثوبه خيلاء؛ فهذا له عقوبة وهذا له عقوبة، وكذلك مسألة اللحى وتهاون بعض طلبة العلم والمنتسبين للعلم في الأخذ من اللحية؛ الله جل وعلا يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]، لم يكن النبي ﷺ يأخذ من لحيته شيئاً أبدًا، وهذه سنة موجودة، وأين الاقتداء بالنبي ﷺ ؟ بعضهم يقول: هذه سنة. طيب وأنت جالس تتكلم وش تتكلم عنه الان؟ جالس تخرج للناس تعلم الناس السنن؟ تعلمهم ما أوجبه الله عليهم، إذا كنت أنت غير ملتزم بالسنن ما يقتدون فيك الناس.

يا أيها الرجل المعلِّم غيره	هلّا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثله	عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

فيقول بعض الناس: هذه سنة! ثم أيضًا غير صحيح قول أنها سنة، ابن حزم في مراتب الإجماع؛ حكى إجماع علماء المسلمين: أن إعفاء اللحية فرض. وهذا موجود في مراتب الإجماع.

إنما الذي اختلف فيه الصحابة هو ما زاد على القبضة، أما ما دون القبضة هذا ما فيه خلاف، يجب عليك أن تبقي لحيتك ولا تأخذ منها شيئًا لا من عرضها ولا من طولها، وفي تساهل في هذا الجانب الآن أيضًا.

كذلك بلغ ببعض الناس أنه يُصبّغ وجهه، يلمّع وجهه، وهذا نوع من التخنث والتأنث؛ كيف تصبغ وجهك؟ هذا من صفات النساء تتجمل لأزواجهم! وأنت لمن تتجمل؟ لجمهورك!

تتصنع للجمهور بالأصباغ والألوان ونحو ذلك!!

الواجب عليك أن تكون قدوة للناس؛ والناس يقتدون بمظهرك ربما أكثر من كلامك، وعادة الناس قد يتأثرون بالعالم في مظهره أكثر من تأثرهم بكلامه؛ كما قال الإمام مالك -رحمه الله-: كنت أقرأ على أيوب بن أبي تميم السختياني فإذا مرّ بالحديث فيبكي، وكان يعمل بي بكاؤه أعظم من عمله بحديثه.

فكان يعمل فيه العمل أعظم من الكلام، وذكر ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد: أن الناس كانوا يدرسون عنده ويقرؤون عليه وكانوا يستفيدون منه في عدة جوانب، وذكر أن بعضهم يأتي إليه ليتلقى عنه الزهد والورع والأخلاق وكانوا يأخذون ويستفيدون من مظهره بقدر ما يستفيدون من علمه؛ والدليل على ذلك أنه جاء رجل إلى الإمام أحمد يقرأ، قال: أريد أن أقرأ عليك كتاب الزهد. فوعده يومًا يقرأ فيه هذا الكتاب فأتى الإمام أحمد للدرس وإذا بالقارئ قد وضع وطاءً وفراشًا للإمام أحمد فجلس الإمام ينظر للفراش وينظر للرجل ومعه الكتاب، يتعجب هل هذه هيئة الذي يريد القراءة في كتب الزهد؟! فالإمام أحمد -رحمه الله تعالى- أخذ الفراش وأبعده وجلس على الأرض وقال: هذا -وأشار لكتاب الزهد- لهذا؛ يعني للأرض والتراب.

هكذا كانوا يعملون؛ وكانوا يؤثّرون على الناس في ذلك؛ والناس يستفيدون منهم.

الآن أصبح طلبة العلم محل لمز للناس! ومحل طعن! بسبب عدم عملهم بعلمهم؛ ليست القضية الآن قضية هل يتأول وما حكم هذا وما القضية؟ القضية أن الناس الآن يبتعدون عنك بقدر ما تبتعد عن الدين! بغض النظر عن تأويلك ونحو ذلك! أو اجتهادك في بعض المسائل العلمية أو رد بعض الخلافات؛ ما دمت تعلم أن هؤلاء يَنفرون عنك ويلمزونك ويعتقدون أن هذا حرام وهو قول طبعًا جماهير العلماء، لماذا تفعل ما يخالف هذه المذاهب الصحيحة ثم تتأول لنفسك؛ وبعض الأشياء محرَّمة واضحة أصلاً التحريم؛ قد لا يكون فيها نزاع في حرمتها.

كذلك التساهل في الفتوى على معنى أن الناس الآن قد انحرفوا! فنحن حين نُشدد عليهم نصطدم معهم؛ وهذا غير صحيح، بالعكس يقول بعض السلف: إذا رأيت الناس قد شدوا فارخي وإذا رأيت الناس قد استرخوا فشد.

ليس المعنى أنك ترى الناس يسترخون فتسترخي معهم؛ فالناس لا يصلحهم إلا التقيد

بالكتاب والسنة كما قال الإمام مالك -رحمه الله تعالى-: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولَّها.

أول الأمة بماذا صَلح؟ صَلح بالكتاب والسنة.

فنحن حين نرى انحراف في الناس لا نجري وراءهم ونقول: الناس لا يصلحون إلا بهذا! ونحسن أفعالهم.

حتى وُجد الآن امرأة تُجري لقاءات مع علماء وطلبة علم! امرأة متبرجة! كاشفة عن ذراعيها! ووجها مُلّطخ بالأصباغ! وكاشفة عن شعرها! وبارز بعض صدرها! خارج بعض ذراعيها! متبرجة بكل ما تحمله الكلمة! ثم تُجري لقاءً مع شيخ وهو ينظر إليها وتنظر إليه وتسأله ويجيب!

وكذلك الاجتماعات مع النساء أمام الناس وأمام الملأ؛ هذا كله من الرقة في الدين، وبعض الناس يقول: ما يصلح الناس إلا هكذا!

طيب ماذا صنعتم منذ سنين الآن؟! ما هو الذي جنى هذا الأمر؟! بل إن الشر يزداد! والمنكرات تتضاعف! والناس بدؤوا يفعلون المنكر ويحتجون بهذه القضية! وإلا يحتجون بك بالفسق هذا! ما يحتجون بك بالطاعة الأخرى؛ حتى إن بعضهم يقول: هذا نأخذ منه كذا وهذا نأخذ منه كذا.

بمعنى يأخذون منك الفسق والضلال والتميع، أما الدين يعرفون عمن يأخذونه منه؛ حيث أن هذه المسألة مسألة دين حقيقة، هم يعرفون مَن يأخذون منه، لكن هذا يجرون وراءه! ولذلك العلماء في هذا العصر ثلاثة أقسام:

القسم الأول: علماء ملة وعلماء شريعة يقولون الحق حيثما توجّهت ركائبه، وهؤلاء هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، والذين يُبلّغون سنة النبي ﷺ وهم أهل دين وأهل ورع، وهؤلاء غرَّة المسلمين، وهؤلاء هم العلماء الذين يقال عنهم: إن لحومهم مسمومة. لأنهم أهل علم وأهل دين وأهل ورع؛ فلا يبغضهم رجل إلا لدينهم، فهذا في قلبه مرض.

وليس معنى هذا أنهم لا يخطئون، لا، فهم غير معصومين، يخطئون، لكن خطأهم يكون عن علم وعن اجتهاد لا عن شهوة ولا عن مصالح شخصية ولا عن ضلال عندهم، إلا أنه

اجتهد فأخطأ، شأنه شأن غيره، فالصحابة ﷺ يخطئون والتابعون يخطئون.

القسم الثاني: علماء جمهور: وهؤلاء ليسوا علماء شريعة ولا علماء سلاطين، بل علماء جمهور، أبواق للجمهور، يُفتون بما يطلبه المستمعون منهم، يُلبون رغباتهم ويحافظون على جماهيرهم، وقد يَشترون ذمم الجمهور لتكثير السواد.

وكثرة اجتماع الناس عند الشخص ليس دليلًا على أن ما يحمله هو الحق، فليس بالضرورة هذا؛ قد يكون وقد لا يكون، لكن ليس بالضرورة أن يكون هذا هو الحق؛ لأن الناس عادة قد يجتمعون عند الرخيص ولا يجتمعون عند النفيس؛ حتى أنت ترى بعض الأحيان السلع لو ذهبت للذي يباع بريالين تجد الخلق مجتمعين عنده، وتجد السلع الثمينة الغالية الناس لا يقتربون منها، فلا يأتي إليها إلا الرجل الذي عنده مال وعنده أشياء.

فلذلك هؤلاء علماء جمهور يفتون على حسب الجمهور، لا يراقبون الله ولا يخافونه ولا يرجون ثوابه، وحين يفتون ينظرون هل يرضى عنهم جمهورهم أم لا؟ يفتون دائمًا تحت ضغط الواقع ومسميات الواقع، وتحت فقه التيسير، وفقه مرونة الشريعة ويسرها ونحو ذلك.

وروح الشريعة ويسرها وسماحتها مضبوطة بضوابط الشريعة، وليست خياراً للناس؛ قال الله جل وعلا: ﴿ما كان لهم الخيرة﴾، فالتيسير ليس على وفق ما تشتهي أنت! بل على وفق ما ورد في الأدلة من الكتاب ومن السنة بضوابط العلماء.

القسم الثالث: علماء سلاطين، يفتون حسب الطلب، ما أمرهم به السلطان يُفتون به، وما نهاهم عنه ينتهون عنه.



السائل: عفا الله عنك يا شيخ، مسألة ترجيع الشعر إذا كان طويل إلى الخلف هل هو من التشبه؟

الشيخ: بالنسبة للرجال؟

السائل: نعم.

الجواب: لا، ليس من التشبه.

لكن النبي ﷺ يقول حين يسجد: (**لا أكف شعرا ولا ثوبا**)، فتجعله يسدل معك.



السؤال: يا شيخ عفا الله عنك، بعض الكتب التي تتكلم عن الإعجاز العلمي في القرآن عندما يأتون لآية فيها إعجاز، مثل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾، يقولون: بعض المعلومات ما وصلت إلى الصحابة وأنه لم يستدركها الصحابة؟

الشيخ: طيب هذا ماذا يريد من هذا المعنى الآن؟

السائل: أن الصحابة ما فهموا معنى الآية.

الجواب: الصحابة أتوا بالمعنى الكلي؛ ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت:٥٣]؛ فهذه الآية الله سيريها العباد بلا شك.

الله جل وعلا يقول: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا﴾، ﴿قل سيروا في الأرض﴾ لا يعني أن كل صحابي سار في كل الأرض، قد تسير في بعض الأرض ما يكون أبلغ مما ساروا به وأوضح في الدلالة.

لكن هم أتوا بالمعنى، فكون الإنسان يقف على أمور بسبب توسع الحضارة اليوم، وكثرة المواصلات، ويقف على ما هو دلالة عظيمة على معنى هذه الآية ﴿سنريهم آيتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ أو كقوله تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض﴾ هذا ما يعني أن الصحابة ما عرفوا هذا الأمر، هم عرفوا الجنس وكون الشكل والصورة والمظهر ما مر عليهم هذا ليس عيبًا فيهم ولا نقصًا في حقهم أصلًا! لكن الإنسان يأتي بمعنى جديد، ما عرفه الصحابة هذا لا يمكن أبدًا! حتى مع تقدم العلم وتقدم الحضارة وتقدم المواصلات وتقاربها ونحو ذلك لا يمكن أن تأتي بمعنى جديد ما فهمه ولا عرفه الصحابة، فالصحابة يعطونك المعنى الكلي، وهذه مسائل مندرجة ضمن الأصول الكلية.

ثم أيضًا هذا ما فيه جديد الإعجاز العلمي؛ بالنسبة لهذه الصورة بالذات التي تسأل عنها؛ يعني كونه اطلع على أمور من السير في الأرض لم يقف عليها الأوائل، أصلًا حتى هذا الذي اطلع عليها غيره من بني جنسه ما اطلع عليها! وهو من بني جنسه، فقط ضرب هذا في

الأرض وأبعد الشُّقة فرأى ما لم يرى غيره، والآخر قد يكون ذلك.

لكن بعض الإعجازات العلمية تدل على معانٍ هي مذكورة في كتب الأوائل لكن بصورة وشكل آخر؛ كقوله ﷺ مثلًا: **(لن تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا)** فيه من فسَّر هذه بالآبار الموجودة وهذا فيه ضعف؛ لأن النبي ﷺ قال: **(حتى تعود)** ولم تكن جزيرة العرب من قبل بالآبار والمكائن والحديد والبترول، هذا كلام غير موجود أصلًا.

فعُلِم أنها ستعود جزيرة العرب على ما كانت عليه من قبل؛ تعود مروجًا وأنهارًا.

والإعجاز العلمي يكتشف الآن أن القطع الثلجية والبرد يزحف من الشام إلى جزيرة العرب؛ فهذا نعم نستفيد منه لكن ما فيه جديد، هم قد ذكروه من قبل والنبي قد ذكره؛ فقط تقدير للشيء وأنه بدأ يزحف أو له نسبة معينة يزحف من الشام إلى جزيرة العرب؛ لكن نحن نعتقد أن جزيرة العرب ستعود مروجًا وأنهارًا بنص قوله ﷺ، والحديث في صحيح الإمام مسلم: **(لن تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا)**، والله أعلم.

